

لسان حال السلطة : اعطوهم من هذا الدين حتى يشبعوا وينسوكم !!

وهكذا؛ تكاليف ما أنزل الله بها من سلطان؛ فقط المراد حشو الإنسان المتدين بشيء يقال له إنه دين؛ المهم ينسى كبار أمور الدين ومقاصده.. كأن الشيطان يقول: تفضل ابلع، وانشغل بنفسك.. واترك معالي الأمور لأهلها؛ فمن أنت حتى تطالب السلطان بالدين كله وأنت لا تطبقه كله؟

المهم - عند الشيطان - أن تنشغل بهذه الأمور وتنسى القرآن والشيطان والعدل والتقوى والشكر ... الخ

كان الدين مزعجاً للسلطات الظالمة، لأن الدين يأمر بالعدل والإحسان؛ وينهى عن الظلم وأكل أموال الناس بالباطل.. الخ، فماذا يفعل السلاطين الظالمون بهذا الدين الذي يعكر عليهم الأمر، ولا يتيح لهم أن يأكلوا ويظلموا كما شاءوا!!.. هنا أتى الشيطان لأولياته من الظالمين بحيلة؛ خلاصتها:

الناس يحبون الدين، فاعطوهم من هذا الدين حتى يشبعوا ويعجزوا.. كثروا عليهم في الأوامر والمحرمات والترغيب والترهيب حتى ينشغلوا بها وينسون أمرهم بالعدل أو نهيكهم عن ظلم.. احشوا عقولهم وقلوبهم بالأحاديث واهجروا القرآن؛ ضخموا صغائر الأمور ورتبوا عليها الجنة والنار حتى ينسوا كبارها.. وهذا ما حصل!

فقد بثت السلطات الظالمة كميات هائلة من الأحاديث التي اشغل بها الناس عن غايات القرآن ومقاصد الدين ومستقرات الفطرة..

أمثلة أحاديث من أحاديث معاوية؛ وفي مصدر واحد فقط؛ هو مصنف عبد الرزاق:

1- مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٦٠ / ١) {عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرْتُ عَنْ مُعَاوِيَةَ، أَنَّهُ قَالَ: «نُهِيتُ أَنْ أَتَوَضَّأَ فِي النَّحَّاسِ، وَأَنْ آتِيَ أَهْلِي فِي غُرَّةِ الْهِلَالِ، وَإِذَا انْتَبَهْتُ مِنْ سِنِّي لِلصَّلَاةِ أَنْ أَسْتَاكَ.» قَالَ: قِيلَ لِي: أَرَى أَنْ قَوْلَهُ: آتِيَ أَهْلِي فِي غُرَّةِ الْهِلَالِ يُحَدِّرُ النَّاسَ ذَلِكَ فِي الْهِلَالِ، وَفِي النَّصْفِ مِنْ أَجْلِ الشَّيْطَانِ} اه يا سلام!!

وما دخل آنية النحاس؟ وكل الأواني من نحاس تقريباً، يعني لابد أن يجلب المتوضي حجراً منحوتاً مثلاً؟ وما السر ولماذا؟ ... كل هذا لإتعب المتدين وإلهائه.

ثم الاستياك بعد كل صلاة، وهذه أيضاً من صغائر الأمور؛ ثم؛ ما دخل أول الشهر في الجماع؟ ثم نصف الشهر من أجل الشيطان؟

وهكذا تكاليف ما أنزل الله بها من سلطان؛ فقط المراد حشو الإنسان المتدين بشيء يقال له إنه دين؛ المهم ينسى كبار أمور الدين ومقاصده.. كأن الشيطان يقول: تفضل ابلع، وانشغل بنفسك.. واترك معالي الأمور لأهلها؛ فمن أنت حتى تطالب السلطان بالدين كله وأنت لا تطبقه كله؟

المهم - عند الشيطان - أن تنشغل بهذه الأمور وتنسى القرآن والشيطان والعدل والتقوى والشكر ... الخ، لقد اشغلك الآن السلطان بأمور لابد أن تأخذ من جهدك الكثير، هذا حديث واحد! فكيف بمئات الآلاف من الأحاديث التي ستستنفذ كل طاقتك، بحيث تملأ حياتك وتبقى ظالماً جاهلاً سلبياً..

ما دام أن الأسد أو النمر دبغ جلده، وكانت الجلود قليلة والناس حريصون على الأنعام ولا تكفي جلودها، فلماذا حرمانهم من جلود السباع؟

ثم كان في قصر معاوية جلود سباع كثيرة كما ذكر المقدم؛ لكن؛ الهدف السياسي : اعطوهم من هذا الدين وضيقوا عليهم به حتى يلموه وينسونا ويدعونا وشأننا!!..

ذكرنا المقدمة ونموذجاً من الأحاديث التي التف بها الشيطان على الناس، لأهداف ذكرناها في المقدمة... وقررنا أن نقتصر على أحاديث سلطان من السلاطين؛ وفي مصدر واحد فقط من المصادر المتقدمة - قبل الصحيحين - وهو مصنف عبد الرزاق الصنعاني؛ وهذه المرة سنحاول السرد ونقل التعليق، وسنذكرها بالترتيب، وسترون أنها كلها سياسية، وأنها في مكان والقرآن في مكان آخر.. اللهم إلا القليل مما له أهداف أخرى؛ سنذكرها..

وانتم حاولوا العودة للمشاركة الأولى لتعرفوا علة الإكثار من الأحاديث في صغار الأمور، وأن هذا النوع من الأحاديث (سياسي)؛ لكن؛ له غرضاً بعيداً لا يدركه الحمقى والطيبون، فراجعوا أهداف هذه الأحاديث في العنوان أو المشاركة الأولى..

الأمثلة:

المثال الأول - سبق..

المثال الثاني: مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١/ ٦٩) ٢١٦ - عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي شَيْخٍ الْهِنَائِيِّ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ، قَالَ لِنَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ «نَهَى أَنْ يُفْتَرَشَ جُلُودُ السَّبَاعِ».. ولماذا؟

ما دام أن الأسد أو النمر دبغ جلده، وكانت الجلود قليلة والناس حريصون على الأنعام ولا تكفي جلودها، فلماذا حرمانهم من جلود السباع؟

ثم كان في قصر معاوية جلود سباع كثيرة كما ذكر المقدم؛ لكن؛ الهدف السياسي : اعطوهم من هذا الدين وضيقوا عليهم به حتى يلموه وينسونا ويدعونا وشأننا..

المثال الثالث: مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١/ ٦٩) عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي شَيْخٍ الْهِنَائِيِّ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ: لِنَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَهَى عَنْ سُجُوجِ النُّمُورِ أَنْ يُرْكَبَ عَلَيْهَا؟ قَالُوا: «نَعَمْ».. المثال الرابع: مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١/ ٤٥٩) ١٧٨٣ - أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: «أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِمُعَاوِيَةَ بِمَكَّةَ فَأَحْتَمَلَهُ أَبُو مَحْذُورَةَ فَأَلْقَاهُ فِي بئر زمزم»..

أبو محذورة مؤذن النبي في مكة؛ ومؤذن معاوية أشغلهم بإنقاص ألفاظ الأذان أو الزيادة فيها.

المثال الخامس: مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١/ ٤٧٩) ١٨٤٤ - أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، وَغَيْرُهُ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ التَّيْمِيِّ، عَنْ عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَنَادَى الْمُتَنَادِي لِلصَّلَاةِ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ كَمَا قَالَ: فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ أَيْضًا، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: «هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ»..

هذه من صغار الأمور أيضاً؛ ولا بد أن يظهر بمظهر الحريص على السنن.. ثم هو يحتاج هؤلاء لنقل هذه السنن! ويحتاجهم لبيعة يزيد..

المثال السادس: مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١/ ٥٦٠) عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ مُعَاوِيَةَ، «يُصَلِّيَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ مَا أَطُوفُ إِلَّا سَبْعًا أَوْ سَبْعِينَ، حَتَّى يَخْرُجَ فَيُصَلِّيَ الْعِشَاءَ، وَلَمْ يَغِبِ الشَّفَقُ».. قَالَ: فَكَانَ عَطَاءٌ يَقُولُ:

«صَلِّ الْعِشَاءَ قَبْلَ أَنْ يَغِيبَ الشَّفَقُ».

وهكذا، صلاها في غيروتها، وسيدب الخلاف بين الناس..

ألغى البسملة والتكبير.. وهذه سنن أموية من عهد عثمان - كان ولاته هكذا، حتى أحيا علي البسملة والتكبر تلبية الحج ونسك التمتع في الحج .. الخ؛ لكن معاوية أعادها للواجهة..

نعم؛ هنا في الرواية أنه لم يعد إليها بعد، أي في المدينة فقط . جاملهم في المدينة لعلمهم يتممون له بيعة يزيد، فقد قدم من أجل هذه المهمة - لا يريد استفزازهم..  
أحاديث معاوية في مصنف عبد الرزاق.

المثال السابع: مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٩٢/٢) عَبْدُ الرَّزَّاقِ، ٢٦١٨ - عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ حُثَيْمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ حَفْصِ بْنِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ: أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَلَّى بِالْمَدِينَةِ لِلنَّاسِ الْعَتَمَةَ، فَلَمْ يَقْرَأْ: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفتحة: ١]، وَلَمْ يَكْبِرْ بَعْضَ هَذَا التَّكْبِيرِ الَّذِي يَكْبِرُ النَّاسُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ نَادَاهُ مَنْ سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَقَالُوا: "يَا مُعَاوِيَةُ، أَسْرَقْتَ الصَّلَاةَ أَمْ نَسِيتَ؟ أَيْنَ: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفتحة: ١]؟ وَاللَّهِ أَكْبَرُ حَتَّى تَهْوِيَ سَاجِدًا؟" فَلَمْ يَعُدْ مُعَاوِيَةُ لِذَلِكَ بَعْدُ أَه

ألغى البسملة والتكبير.. وهذه سنن أموية من عهد عثمان - كان ولاته هكذا، حتى أحيا علي البسملة والتكبر تلبية الحج ونسك التمتع في الحج .. الخ؛ لكن معاوية أعادها للواجهة..

نعم؛ هنا في الرواية أنه لم يعد إليها بعد، أي في المدينة فقط . جاملهم في المدينة لعلمهم يتممون له بيعة يزيد، فقد قدم من أجل هذه المهمة - لا يريد استفزازهم..

المثال الثامن: مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٤١٧/٢) عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ عَطَاءٍ بْنُ أَبِي الْخُوَارِ، عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدٍ أَخْبَرَهُ قَالَ: صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ مَعَ مُعَاوِيَةَ فِي الْمُقْصُورَةِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قُمْتُ مَقَامِي فَصَلَّيْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْسَلَ إِلَيَّ، فَقَالَ: «لَا تَعُدْ لِمَا فَعَلْتَ، إِذَا صَلَّيْتَ الْجُمُعَةَ فَلَا تُصَلِّهَا حَتَّى تَكَلَّمَ أَوْ تَخْرُجَ، فَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِذَلِكَ.»  
ما شاء الله على هذا التقوى!

وما الضرر لو صلى بعد الصلاة مباشرة؟

وما هذا الحرص على التفاصيل؟

يا ترى هل أمر الله بالعدل مثلاً؟

بالصدق؟

بحسن توزيع الثروة؟

بتذكر المعاد؟

بمراقبة الله؟

بعبادة الله وحده لا شريك له؟

هل نهى عن قتل النفس؟

عن أكل أموال الناس بالباطل؟

عن لعن الصالحين على المنابر؟

عن الرضا بالحياة الدنيا وزخرفها؟

انظروا إلى هذا المثال؛ إشغال الناس في المدينة في سنة من السنن، صحت أولم تصح،  
وكأنها محور الدين!

إشغالهم بالسؤال: حصلت وإلا ما حصلت؟

صلاها النبي وألا ما صلاها؟

وكأنه ما بقي من أمور الدين إلا هاتان الركعتان بعد العصر!!! ويظهر بها معاوية حرصه  
على السنن ، وإذا رجع إلى الشام ألبسوه الصليب وأعطوه مرتبة في الكنائس - كما يف  
الوثائق المسيحية وكما يف الدنانير المكتشفة في عصره وفيها صورته مع الصليب!.

المثال التاسع: مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٢/ ٤٣١) عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي لَبِيدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ  
بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَقُولُ: قَدِمَ مُعَاوِيَةُ الْمَدِينَةَ، فَقَالَ: قُمْ يَا كَثِيرُ بْنُ الصَّلْتِ إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَاسْأَلْهَا عَنِ الرُّكْعَتَيْنِ بَعْدَ  
الْعَصْرِ، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ (بن عبد الرحمن بن عوف): فَقُمْتُ مَعَهُ، وَأَرْسَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَارِثِ، فَأَتَيْنَا عَائِشَةَ  
فَقَالَتْ: لَا أَدْرِي، سَلُوا أُمَّ سَلَمَةَ، فَأَتَيْنَا أُمَّ سَلَمَةَ، فَقَالَتْ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَصَلَّى رُكْعَتَيْنِ  
بَعْدَ الْعَصْرِ، لَمْ أَكُنْ أَرَاهُ يُصَلِّيهِمَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَاتَانِ الرُّكْعَتَانِ؟ قَالَ: " قَدِمَ وَقَدْ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ - أَوْ قَالَ: قَدِمَتْ  
صَدَقَةٌ - وَكُنْتُ أَصَلِّي رُكْعَتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ، فَلَمْ أَكُنْ صَلَّيْتُهُمَا، فَهَمَا هَاتَانِ."

انظروا إلى هذا المثال؛ إشغال الناس في المدينة في سنة من السنن، صحت أولم تصح، وكأنها محور الدين!

إشغالهم بالسؤال: حصلت وإلا ما حصلت؟

صلاها النبي وألا ما صلاها؟

وكأنه ما بقي من أمور الدين إلا هاتان الركعتان بعد العصر!!! ويظهر بها معاوية حرصه على السنن ، وإذا رجع إلى الشام  
ألبسوه الصليب وأعطوه مرتبة في الكنائس - كما يف الوثائق المسيحية وكما يف الدنانير المكتشفة في عصره وفيها  
صورته مع الصليب.

الرجل داهية، وقدم من أجل بيعة يزيد .. ولا بد من إيصال رسالة للناس أنه يهتم بصغائر الأمور اهتماماً عظيماً؛ فكيف  
بكبارها؟ لا تصدقوا ما تسمعون؛ فالرجل حريص على السنن.  
الأغبياء لا يكتشفون الدهاء..

وهذا المثال صارخ جداً؛ لأن الله قد أخبر بسبب هلاك بني إسرائيل، لأنهم:

1- يكفرون بآيات الله.

2- ويقتلون النبيين بغير حق.

3- لا يتناهون عن منكر فعلوه..

4- أكلهم السحت.

الخ

أما معاوية؛ ف يريد إقناعنا بأن سبب هلاكهم باروكة! فقط! لم يعذبوا ولم يهلكوا إلا  
بسبب باروكة!

-الأحاديث السياسية الخفية -

المثال العاشر: مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١٤٢/٣) عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ رَأَى مُعَاوِيَةَ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَفِي يَدِهِ قُصَّةٌ مِنْ شَعْرِ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: أَيُّنَ عُلَمَاؤُكُمْ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ وَصْلِ هَذَا، وَقَالَ: «إِنَّمَا عُذِّبَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَتْ، إِنَّمَا عُذِّبَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَتْ نِسَاؤُهُمْ هَذِهِ» اهـ

وهذا المثال صارخ جداً؛ لأن الله قد أخبر بسبب هلاك بني إسرائيل، لأنهم:

1- يكفرون بآيات الله.

2- ويقتلون النبيين بغير حق.

3- لا يتناهون عن منكر فعلوه..

4- أكلهم السحت.

الخ

أما معاوية؛ فيريد إقناعنا بأن سبب هلاكهم باروكة! فقط! لم يعذبوا ولم يهلكوا إلا بسبب باروكة! طبعاً؛ معاوية قادم إلى المدينة لبيعة يزيد؛ ولابد من إشغالهم بهذه الأحاديث السياسية (الخفية) التي لها طابع ديني، لعدة أهداف، منها:

1- إشعارهم بأنه حريص على الدين حتى في صغائر الصغائر.

2- توبيخ أهل المدينة بأنهم فرطوا في هذا المنكر العظيم.

3- ولولا أنه مشغول بالفتوحات لعلمهم كيف كان الدين!!

4- فلا يقلقوا... فالخلافة في مأمن، وهو يتعاهد يزيد بالسنن..

5- لا تصدقوا ما تسمعون مادام أنه قد نهكم على منكرات في بيوتكم، (لأن في بعض طرق هذا الحديث قول معاوية: وقد رأيتهما على نسائكم!!!)

وكان نساء أهل المدينة مائلات مميلات كاسيات عاريات... لكن العفاف والتقى في الشام؛ مع خمور يزيد وقروده وعربده في بيت جيرون....

**قلت: الكظامة اسم عين يريد إجراءها إلى أحد قصوره، والرجل لم يجد لها طريقاً إلا من فوق جثة حمزة بن عبد المطلب وشهداء أحد، والرجل التي ضربت قدمه هو حمزة بن عبد المطلب - وقد فصلت في هذا في بحث مفرد في موقف معاوية وابي سفيان من حمزة، فأبوسفيان رفس القبر أيام عثمان وقال : قد عدنا يا حمزة! ومعاوية أكمل المهمة في خلافته لمصلحة مزعومة، فنبش قبره وسلط من يصرب قدمه؛ فلما انبعث الدم خاف ونادى أهل المدينة أن يأتوا..**

نذكر حالات من الأخطاء وليس من الأحاديث... وإلا؛ فهي ليست موضوعنا...

المثال الحادي عشر: مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٢٨٤/٣) عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: «أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مُعَاوِيَةُ».

قلت: أي يوم العيد، لأن الناس كانوا يصلون العيد ويذهبون حتى لا يسمعو لعن الإمام علي في الخطبة، فقدم معاوية وولاته الخطبة حتى يسمعو الناس اللعن والأوامر والثقافية السياسية، هنا لا يهتم السلطان بالسنة ولا بالواجب!

لكننا لا نذكر هذه الأمور التي فيها أخطاء معاوية الظاهرة وتصرفه في السنن كما في البسمة والتلبية وتقديم الخطبة وتعطيل التكبير في الصلاة والربا .. الخ، وسنقتصر على ما يظن الناس أنه من الأحاديث ومن الدين، تلك الأحاديث التي بثها السلاطين ووعاظهم ومحدثوهم ليستغل بها الناس عن الدين الأول، ليصبح دين محمد - الذي هو دين القرآن - مدفوناً تحت هذه الأحاديث في التفاصيل التي لا ترفع حقاً وتضع باطلاً، وإنما تلهي المتدينين بأمور ثانوية وتصده عن السبيل.

المثال الثاني عشر: مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٥/ ٤٥) ٨٩٤٤ - أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا عَنْ مَعْمَرٍ، وَالثَّوْرِيِّ، عَنْ ابْنِ خُثَيْمٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: كُنْتُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُعَاوِيَةَ وَهُمَا يَطُوفَانِ بِالْبَيْتِ، فَكَانَ مُعَاوِيَةُ لَا يَمُرُّ بِرُكْنٍ إِلَّا اسْتَلَمَهُ قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَسْتَلِمُ إِلَّا الْحَجَرَ الْيَمَانِيَّ» فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: «لَيْسَ مِنَ الْبَيْتِ شَيْءٌ مَهْجُورٌ»

هكذا بالرأي!

مثلاً لم يحرمة الربا بالرأي؛ ورأى قطع التلبية بالرأي؛ ورأى استلحاق زياد بالرأي؛ وسمى الخمر طلاء بالرأي؛ ورأى الكثر جائزاً بالرأي؛ ورأى قتل حجر بالرأي؛ وبيع الأصنام بالرأي..

كل جريمة بالرأي! ولا يهم هنا سنة ولا واجب..

وخلف جيشاً من الوعاظ يربطون أخطاءه بمفتريات على من سبقه، وأن هذه سنة، وربما نسبوا الشيء لرسول الله..

دولة عظيمة ولا أحد يعصي الدولة...

المثال الثالث عشر: مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٣/ ٥٤٧) ٦٦٥٦ - أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: لَمَّا أَرَادَ مُعَاوِيَةُ أَنْ يُجْرِيَ الْكُظَامَةَ قَالَ: مَنْ كَانَ لَهُ قَتِيلٌ فَلْيَأْتِ قَتِيلَهُ - يَعْنِي قَتْلَى أَحَدٍ - قَالَ: فَأَخْرَجَهُمْ رِطَابًا يَتَنَنُّونَ قَالَ: «فَأَصَابَتِ الْمُسْحَاةَ رَجُلٌ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَأَنْفَطَرَتْ دَمًا» فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: «لَا يُنْكَرُ بَعْدَ هَذَا مُنْكَرٌ أَبَدًا»

قلت: الكظامة اسم عين يريد إجراءها إلى أحد قصوره، والرجل لم يجد لها طريقاً إلا من فوق جثة حمزة بن عبد المطلب وشهداء أحد، والرجل التي ضربت قدمه هو حمزة بن عبد المطلب - وقد فصلت في هذا في بحث مفرد في موقف معاوية وابي سفيان من حمزة، فأبوسفيان رفس القبر أيام عثمان وقال: قد عدنا يا حمزة! ومعاوية أكمل المهمة في خلافته لمصلحة مزعومة، فنبش قبره وسلط من يصرب قدمه؛ فلما انبعث الدم خاف ونادى أهل المدينة أن يأتوا..

ولذلك؛ قال أبو سعيد: لا ينكر منكربعد اليوم، لأن إهانة جثث شهداء أحد يظهر أنه كان مقصوداً، وإلا؛ فطبيعة الحفر وفي قبر محفوروما فيه مجلاد تراب، وهناك لحد ووالخ، فلا يكون الحفر شديداً بحيث يؤدي إلا قطع رجل الميت... لكنه القصد.

لا يفهم دهاء معاوية إلا القليل؛ كأبي سعيد.. ولذلك قال كلمته.

**إذا؛ فهذه من الأحاديث التي يتم بها التشديد على العامة، لأن السلطان وذويه لن تنالهم عقوبة حتى لو شربوا برك الخمر (كان للوليد بن يزيد بركة خمر، يملأها خمر وينغمس فيها، وقيل يشرب حتى تنقص شيئاً من أطرافها، ربما بركة صغيرة!)**

والسلطان يتشدد في العقوبات حتى يشعر الناس بأنه حريص على الدين... وحتى لا نطيل سنذكر مثلاً واحداً فقط..

المثال الرابع عشر: مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٧/ ٣٨٠) - أَخْبَرَنَا الثَّوْرِيُّ، عَنْ عَاصِمِ ابْنِ أَبِي النَّجُودِ، عَنْ ذَكْوَانَ، عَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي شَارِبِ الْخَمْرِ: «إِذَا شَرِبَ الْخَمْرَ فَاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إِذَا شَرِبَ فَاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إِذَا شَرِبَ فَاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إِذَا شَرِبَ الرَّابِعَةَ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ». قَالَ الثَّوْرِيُّ: فَحَدَّثَنَا أَصْحَابُنَا عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ ابْنَ النُّعْمَانِ ضَرَبَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ وَرَفَعَ الْقَتْلَ اه



وهذا حكم غريب؛ ليس عليه العمل (كما قال الترمذي).

ثم؛ خمور معاوية في قصره وعند يزيد.. فلماذا لم يقتل نفسه ويقتل يزيد؟

أما شرب يزيد فمتواتر؛ وأما معاوية فرواه الإمام أحمد بسند صحيح. وسيأتي.

إذا؛ فهذه من الأحاديث التي يتم بها التشديد على العامة، لأن السلطان وذويه لن تنالهم عقوبة حتى لو شربوا برك الخمر (كان للوليد بن يزيد بركة خمر، يملأها خمروينغمس فيها، وقيل يشرب حتى تنقص شيئاً من أطرافها، ربما بركة صغيرة). جلد شارب الخمر فيها نظر؛ فكيف بقتله؟ كأنها تعزير لبعض شرابي الخمر لسوء تصرفات يفعلونها.

ليس في كتاب الله عقوبة شارب الخمر، ولكنه؛ نعم؛ مروي فيه الجلد؛ أما القتل؛ فأمر اخترعه معاوية.

القتل شديد، ولعله أراد به معاوية التهنية لبعض منافسيه الذين كان لهم طموح؛ كعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ولكنه عدل إلى السم، لا أدري، ابحثوا عن سر معاوية في هذا الحديث المنكر، وستجدون له سبباً سياسياً.. وكان معاوية يشرب الخمر؛ كما في حديث بريد بن الحصيب الذي أخرجه أحمد. ففي مسند أحمد (٢٥ / ٣٨) حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، حَدَّثَنِي حُسَيْنٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَآبِي عَلَى مُعَاوِيَةَ فَأَجَلَسَنَا عَلَى الْفُرْشِ، ثُمَّ أُتِينَا بِالطَّعَامِ فَأَكَلْنَا، ثُمَّ أُتِينَا بِالشَّرَابِ فَشَرِبَ مُعَاوِيَةُ، ثُمَّ نَاولَ [ص: ٢٦] أَبِي، ثُمَّ قَالَ: مَا شَرِبْتُهُ مُنْذُ حَرَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْ وَالسَّندُ صَحِيحٌ، وَهِيَ هِيَ مُعَاوِيَةُ يَشْرَبُ؛ وَجَهراً وَأَمَامَ صَحَابِي كَبِيرٍ.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٤٢ / ٥) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ وَفِي كَلَامِ مُعَاوِيَةَ شَيْءٌ تَرَكْتُهُ. أَهْ اللَّهُ أَعْلَمُ كَمْ تَرَكْنَا مِنْ فَضَائِحِ الرَّجُلِ، فَمَا زَالَ النَّاسُ يَتَرَكُونَ مَا يَثِيرُ الْعَامَّةَ، مِنْ عَهْدِ مُعَاوِيَةَ إِلَى أَيَّامِنَا هَذِهِ، وَلَعَلِّي أَعْرِفُ مَاذَا قَالَ مُعَاوِيَةُ هُنَا، وَبَتَرَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي عَصْرِهِ، وَبَتَرَهُ مِنْ طَبِيعِ مَسْنَدِ أَحْمَدَ، وَأَحْمَدُ نَفْسَهُ بَتَرَ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ حَدِيثاً تَتَنَاولُ مُعَاوِيَةَ بِالذَّمِّ أَفْرَدَتْهَا فِي مَبْحَثٍ - وَالْبَاتِرِيَّاتِي مِنْ يَبْتَرُمْنَهُ: وَهَكَذَا ... حَتَّى أَصْبَحَ مُعَاوِيَةُ عِنْدَنَا الْيَوْمَ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ الْمُتَقِينَ! فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

إذاً فالحديث (اقتلوه في الرابعة) كأنه يريد قتل واحد قد ضاق به ذرعاً، ربما زعمي قبلي شامي لا يريد البيعة ليزيد، فعلم أنه يشرب الخمر؛ فأراد التخلص منه.

**وكذلك كان يفعل مع آخرين؛ كأبي هريرة، كان يرسل له المال ليسكت، وإذا تأخر المال على أبي هريرة حدث ببعض ما يسوء معاوية، من فضائل لغيره أو مثالب له، أو حديث يحث على الأمر بالمعروف .. الخ!**

أهل الشام توسعوا في تحريم كثير من الأمور، الغناء، جلود السباع، الباروكة، .. الخ، ويرتكبون العظائم، المهم لفت نظري أن معاوية كان يرى جواز نكاح المتعة، وأنه قد تمتع، فاستغربت إطباق أهل الشام على حرمة المتعة، ولكنهم يغتصبون بنات المهاجرين والأنصار؛ حتى حملت ألف بكر كما يقول ابن كثير.. فالله المستعان.

على كل حال، هذه نادرة؛ فمعاوية نفسه تمتع؛ وهو ملك لا يحتاج لمتعة، يستطيع أن يتزوج ويتسرى كما شاء؛ ففي مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٤٩٩ / ٧) قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ: وَسَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: "اسْتَمْتَعَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ مَقْدِمَهُ مِنَ الطَّائِفِ عَلَى ثَقِيفَ بِمَوْلَاةِ ابْنِ الْحَضَرَمِيِّ يُقَالُ لَهَا: مُعَانَةُ" قَالَ جَابِرٌ: «ثُمَّ أَذْرَكْتُ مُعَانَةَ خِلَافَةَ مُعَاوِيَةَ حَيَّةً، فَكَانَ مُعَاوِيَةُ يُرْسِلُ إِلَيْهَا بِجَائِزَةٍ فِي كُلِّ عَامٍ حَتَّى مَاتَتْ.»

الكلام هنا؛ لماذا كان يعطيها المال حتى ماتت؟

ربما كشف لها أمراً أولهجه به؛ وخشي أن تحدث به؛ فكان يسترضيها بالمال. وكذلك كان يفعل مع آخرين؛ كأبي هريرة، كان يرسل له المال ليسكت، وإذا تأخر المال على أبي هريرة حدث ببعض ما يسوء معاوية، من فضائل لغيره أو مثالب له، أو حديث يحث على الأمر بالمعروف.. الخ، فضلاً عما يمكن أن يكون معاوية لهج به في حالة سكره - فقد كان يشرب الخمر- وربما لهج بشيء من إنكار النبوة -كما فعل مع المغيرة بن شعبه في قصة: دفناً دفناً- ففي سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٦١٥/٢) يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ: عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِذَا أُعْطِيَ مُعَاوِيَةَ سَكَتَ، فَإِذَا أَمْسَكَ عَنْهُ تَكَلَّمَ أَهْـ وَقد حذف النواصب هذه الرواية من الطبقات الأخيرة لسير أعلام النبلاء كعادتهم في البتر المتواصل في غفلة من الناس، ( فالكتاب بتحقيق طبعة أهل الحديث / لم أجد هذه فيها) وإنما في طبعة الرسالة.

**المقصود بالسلطة هنا: السلطات أيام كتابة الأحاديث؛ أي: الأموية والعباسية. أما**

**السلطات المعاصرة؛ فأراها ضحية مثلنا؛ للثقافة الموروثة.**

**نعم؛ ما زال أكثر السلطات المعاصرة يوظفون الدين في أمور أخرى؛ أما الحديث؛ فقد تم.**

المقصود بالسلطة هنا: السلطات أيام كتابة الأحاديث؛ أي: الأموية والعباسية. أما السلطات المعاصرة؛ فأراها ضحية مثلنا؛ للثقافة الموروثة.

نعم؛ ما زال أكثر السلطات المعاصرة يوظفون الدين في أمور أخرى؛ أما الحديث؛ فقد تم.

أعني؛ أن نشر السلطة الأولى - الأموية والعباسية - للأحاديث التفصيلية في الأمور الثانوية؛ كان مقصوداً عند الترجيح، حتى ينشغل المسلمون بالتفاصيل.

السلطات المعاصرة هي مثلنا، عالة على هذه الكتب الروائية، التي تهتم بأداب الطعام والأذكار وتغفل عن غايات القرآن! أما السابقة؛ فأظنها تعرف..

السلطات القديمة - الأموية والعباسية - هي سلطات تاريخ رواية وكتابة الأحاديث والأخبار والتفسير والأشعار... الخ؛ وكان معظم السلاطين دهاة كباراً؛ فمن دهاة بني أمية؛ معاوية وعبد الملك بن مروان وهشام ابن عبد الملك؛ ومن دهاة بني العباس؛ المنصور والرشيد والمأمون والمتوكل؛ لن ننجم منهم.

السلطات الأموية والعباسية لا يطبقون سيرة عمرو علي؛ فكيف يطبقون شدة محاسبة القرآن للنفس وأطره الناس على العلم والعدل والبرهان؟ هذا صعب؛ والناس في عصرهم متدينون في الجملة، وخاصة ذوي الرأي والأثر؛ وما من متدين يقرأ القرآن إلا ويجد الحلال والحرام؛ الأمور العظام ودونها؛ فما العمل؟

هنا؛ لابد أن يشجعوا على الأشعار والتهاجي بها؛ والعصبية القبلية والتفاخر بها؛ والغناء والمجون والدعوة إليها؛ والحديث في التفاصيل وترك الغايات..

يظن الناس أن أثر السلطات يومئذ محدود.. وأنهم لا يتدخلون في الثقافة ولا في معايير الفقيه والمحدث والعالم وذي

الاعتبار.. الخ؛ هذا وهم! السلطات كان لها الأثر العظيم على الثقافة؛ العادل منها - قليل - ينصر الثقافة الناصرة للعدل؛ والظالم - وهم الأكثر - ينصر الثقافة الناصرة للظلم؛ والأمثلة كثيرة جداً؛ ولكن؛ لأنني أكثرت عليكم الليلة؛ قد نستعرضها في مناسبات قادمة. أعني؛ تدخل السلطات في الثقافة العامة؛ وتأثيرها على مسارها.

لذلك؛ لم يلتفتوا للعلوم النافعة؛ كالطب والمنطق والفلسفة - باستثناء المأمون - كان شغلهم ينصب على العامة وطاعتهم لهم؛ لم يفكروا باستراتيجية..

تستطيعون قراءة مجالس أهل الحكم يومها؛ لن تجدوها إلا لفقيه مكعوم؛ أو شاعر مذموم؛ أو واعظ أبله؛ أو سامر مرفه..



أين أهل العقول والعلوم؟

أيضاً؛ ماذا تجدون في ثقافة مجالس السلاطين يومئذ - أيام الأمويين والعباسيين -؟ كلها عن السمر والندماء؛ وطرائف الشعراء؛ ومعافسة الإماء والنساء... اعطوني خليفة همه من الناس عقولهم قبل طاعتهم العمياء؛ أو استشرف المستقبل من القرآن وأخبار الأمم؛ أو نصر الحرية وآلف بين الناس على المشتركات؟

نعم؛ كان هناك عادلون؛ لكنهم قلة؛ ومجهوداتهم فردية؛ كمحاسبة عمر لعماله؛ أو تثقيف علي بالإسلام الأول؛ وإصلاح عمر بن عبد العزيز في المال العام؛ لكن؛ أغلب السلاطين كانوا كما ذكرنا سابقاً؛ تمسك بالسلطة؛ محاربة للتنوع - وهي سنة من سنن الله - تفرد بالقرار؛ وعيشة خمور ونمور وإماء وندماء..

نعم؛ لعل المأمون هو من حاول إنعاش الثقافة؛ وعمل مكتبة الحكمة؛ وقرب أهل العقول؛ وحاور الفقهاء والمحدثين؛ لكن؛ كانت الثقافة العامة قد تشكلت. ولذلك؛ كان اضطهاد المأمون لأهل الحديث عمل له طابع سياسي وفكري معاً؛ لأنه كان يراهم عائقاً من عوائق الثقافة الجديدة؛ وأراد إسقاطهم أمام العامة؛ ولكن المأمون فاته أهم شرط من شروط الحضارة؛ وهي الحرية. فالحرية في الأفكار - وخاصة المسألة - من أهم أسس النمو الحضاري المتكامل.

كان الإمام علي قد فاق المأمون في التسامح؛ حتى مع الأفكار غير المسالمة؛ فكان الخوارج يكفرونه؛ وهو يذكرهم بالحقوق؛ ولم يقاتلهم حتى مارسوا العنف؛ ولكن المأمون مات سنة ٢١٨ هـ؛ وترك المعتصم بعده، وهو خليفة عسكري جاهل؛ لم يرع من مشروع المأمون إلا ظلمه لأهل الحديث!

المأمون تولى عشرين عاماً - من ١٩٨ إلى ٢١٨ هـ؛ ولعله الخليفة القوي الوحيد الذي كان له مشروع شبه متكامل؛ لكنه؛ أفسده بإهماله الحرية والتسامح.

المعتصم والوائق - من ٢١٨ إلى ٢٣٢ هـ - كانا جاهلين؛ يقلدان المأمون في سجن بعض أهل الحديث وقتل بعضهم، فأصبح لهم مكانة بين العامة فيما بعد.

أتى المتوكل عام ٢٣٢ هـ؛ ومال مع العامة ضد الأتراك والثقافة السابقة برمته؛ فعظم أهل الحديث - وعلى رأسهم أحمد - واضطهد المعتزلة والشيعة. وتعرض المعتزلة ومن شايعهم؛ من أهل الفلسفة والمنطق وعلوم اليونان؛ لاضطهاد أيضاً؛ أحرقت كتبهم؛ ولاحتقتهم السلطات؛ وكان الأثر على العامة كبيراً؛ وما زال أثر المتوكل قائماً إلى اليوم؛ في التيار السلفي والأشعري معاً؛ فقد عظم المتوكل أهل الحديث؛ وأجزل لهم العطايا؛ وتشكلت العقائد من أيامه.. العقائد والتصورات اليوم، عن الدين والعقائد والمذاهب، هي من آثار عصر المتوكل. فقد كان جاهلاً ظالماً كالمعتصم والوائق، ولكن على الضد.

المتوكل لم يكن رجلاً صالحاً؛ حتى بمقياس أهل الحديث؛ فقد كان غارقاً في الشهوات، مبغضاً لعلي والحسين، قاتلاً ظالماً؛ إلا أنه نصر الإمام أحمد.

أهل الحديث - وسط ما يشعرون به من انتصار سياسي - نسوا مظالم المتوكل، وسموه (ناصر السنة)؛ ونشطوا في هذه المرحلة؛ وغلوا وتطرفوا ضد الجميع.. هذه المرحلة هي التي دونت تكفيراً بي حنيفة؛ وكان فيها الظلم كله؛ ونبش قبر الحسين؛ وإعلان بغض الإمام علي؛ وأهل الحديث ساكتون لأنه نصر أحمد! وكنت أقول لبعض الفضلاء من أهل الحديث؛ هل سنة المتوكل؛ في نصر الإمام أحمد؛ تغطي على بدعته في بغض علي والحسين؟ وأنتم تعترفون أنه ناصبي.. فكيف؟

بعض المحققين؛ من أهل الحديث؛ يعرفون هذا؛ وكان من عرف منهم هذا، كان السؤال محرراً له بالمرّة؛ فالسنة لا تتجزأ ولا تتمذهب؛ وأحمد لا يبلغ علماً..

نعم؛ نحن ضد ظلم المأمون للإمام أحمد وأهل الحديث؛ ونوافق على إدانته؛ لكن؛ يجب أن نكون ضد ظلم المتوكل للإمام علي والحسين؛ فهما أولى وأفضل.

المتوكل العباسي مات سنة ٢٤٧ هـ؛ بعد أن قام بأفعال لا تقوم بها داعش اليوم؛ ولكن؛ العى عند أهل الحديث؛ وشدتهم

في الخصومة؛ نسوا كل جرائمه وبدعاه! فأفعاله القبيحة عندي؛ في الجانب الجنائي؛ أبشع من بغضه لأهل البيت؛ ولكن؛ حتى من أنصف من أهل الحديث؛ يذكرون عنه النصب؛ ولا يذكرون جرائمه؛ فمثلاً؛ يقول بعض أهل الحديث المعاصرين في ترجمة المتوكل: المتوكل على الله: الخليفة العباسي التاسع، كان ناصبياً، ومات على شرب الخمر، ت ٢٤٧ هـ.

لاحظ أنه لم يذكر؛ مثلاً؛ ما فعله المتوكل من جرائم أشد؛ مثل:

1- سل لسان اللغوي الكبير يعقوب بن السكيت من قفاه؛ وقطعه فمات.

هذه لم تعملها داعش !

هذه القصة الشنيعة؛ عندي؛ هي المؤثرة في قبح سيرة المتوكل؛ أكثر من النصب. لكن؛ أهل الحديث؛ غفر الله لهم وهداهم؛ فقراء في الجانب الحقوقي؛ إلى اليوم؛ والسبب الذي من أجله استل المتوكل لسان ابن السكيت من قفاه - حفروا لسانه من القفا وأخرجوه من هناك وقطعوه - لأنه فضل الحسن والحسين على ابنه! فأهل الحديث تذكروا النصب وذموه عليه - أعني علماء أهل الحديث ومنصفهم - ولكنهم؛ لم يذموه على هذا التفنن في المثلة بإمام العربية في وقته.

وهذا شيء من توثيق القصة: ففي النجوم الزاهرة لابن تغري بردى - (2/ 285) عن ابن السكيت - قال له (المتوكل) يوماً: أيما أحب إليك: ولداي المؤيد والمعتز أم الحسن والحسين أولاد علي؟ فقال ابن السكيت: والله إن قنبرا خادم علي خير منك ومن ولدك؛ فقال المتوكل: سلوا لسانه من قفاه، ففعلوا فمات من ساعته اهـ. ومع هذا؛ يصفه أهل الحديث بأنه نصر السنة وقمع البدعة؟ يا ناس ... اشهدوا لله.

وقد اعترف بهذا معظم المؤرخين؛ ومنهم الحنابلة المعتدلون - كابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب (٣/ ٢٠٤) (( فقال له (المتوكل) يا يعقوب: أيما أحب إليك، ابناي هذان، أم الحسن والحسين؟ فغض من ابنه، وذكر محاسن الحسن والحسين، فأمر المتوكل الأتراك فدا سوا بطنه؛ وحمل إلى داره فمات من الغد. وروي أنه قال له: والله إن قنبرا خادم علي خير منك ومن ابنك، فأمر بسل لسانه من قفاه، رحمه الله ورضي عنه اهـ. وبعض المؤرخين؛ كياقوت الحموي؛ للأسف، عد جواب ابن السكيت من التشيع! وهذا فيه تبرير لما فعله المتوكل، مع أن ابن السكيت سني بالإجماع..

قال ياقوت؛ في معجم الأدباء (٦/ ٢٨٤١)؛ (وكان يعقوب يتشيع، فأمر المتوكل الأتراك فسلوا لسانه ودا سوا بطنه وحمل إلى بيته فعاش يوماً وبعض آخر..))

يعني ماذا؟

يعني أن إمام العربية يستاهل؛ فالرجل يتشيع!

هذه الاتهامات لا تكمن خطورتها في التقييم؛ إنما تكمن خطورتها أنها تعطي العامة تبريراً للجريمة؛ لأن العامة؛ غالباً؛ إذا علموا بجريمة في حق شيعي أو متهم بالتشيع ظلماً؛ فإنهم يبررونها؛ ويعدون لها عقوبة شرعية! ولو سألناهم بأي نص؟ لن يجدوا.

نعم؛ قد تقول: إن جواب ابن السكيت جاف، وقد نعقل معاقبته عقوبة بسيطة، من غضب أو انتهار أو حتى سجن لأيام؛ أما بهذه الطريقة البشعة؛ فأعوذ بالله.

يقول الذهبي في النبلاء (١٢/ ١٦): (شيخ العربية، يعقوب بن إسحاق البغدادي النحوي المؤدب مؤلف كتاب إصلاح المنطق دين خير، حجة في العربية..) (فالرجل سني، وأول من اتهمه بالتشيع ثعلب، ولهذه القصة؛ وكان ثعلب ناصبياً - له جزء في فضائل معاوية يفرض على التلاميذ قراءته قبل كل درس - وثعلب - وهو نحوي - ظلم ابن السكيت في النحو وفي المذهب. وهذا الظلم بسبب نصب ثعلب الذي لا نراقبه، وليس بسبب تشيع ابن السكيت الذي لم يصح؛ إلا إذا كان

الدفاع عن الحسن والحسين يعد تشيعاً.... فالله المستعان! فكيف إذا رأوا أنه يستحق به تلك العقوبة الشنيعة؟ أو على الأقل تبريرها.

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٨/١٢) تعليقاً على جريمة المتوكل في حق ابن السكيت؛ (وكان في المتوكل نصب نسل الله العفو)! اهـ فقط!!

ولو كان الذهبي ممثلًا بثقافة الحقوق؛ لكان نقده للمتوكل أبلغ من هذا؛ لا سيما وأنه متأخر عنه (بينهما ٦٠٠ سنة)؛ لكن؛ النصب كان في الشام أيضاً؛ والنصب له جمهور؛ يصرف به العلماء للتهوين من الجريمة ضد أي مختلف؛ شيعياً أو غير شيعي؛ وللأسف؛ يستجيب العلماء للعامة، وتتقارب ثقافتهم في الظلم. ومن قصص المتوكل (الذي ما زالوا يلقبونه بناصر السنة رغم جرائمه ونصبه وموته على شرب الخمر والشهوات) / أمره بجلد المحدث الكبير نصر بن علي؛ أمره بجلد نصر بن علي الجهضمي ألفي سوط! - وهو محدث مشهور من طبقة أحمد وابن معين - والسبب؛ أنه روى حديثاً في فضل علي؛ وظن المتوكل أنه شيعي! قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣٨٩/١٥) لما حدث (نصر بن علي) بهذا الحديث، أمر المتوكل بضربه ألف سوط، فكلمه جعفر بن عبد الواحد؛ وجعل يقول له؛ هذا الرجل من أهل السنة، ولم يزل به حتى تركه! قلت؛ إنما أمر المتوكل بضربه لأنه ظنه رافضياً، فلما علم أنه من أهل السنة تركه اهـ. وهذه القصة لها دلائل كبيرة ومؤسفة:

الأولى: أن المتوكل يحكم بجهله أن هذا شيعي وهذا سني، تبعاً لجهله بمعنى السنة ومعنى التشيع ومعنى النصب. ثانياً؛ وهذا يدل على أن أهل الحديث؛ فضلاً عن المعتزلة والشيعة في عهد المتوكل؛ كانوا في مجازفة شديدة إذا رووا شيئاً في فضل أهل البيت.

ثالثاً؛ الحديث الذي رواه نصر بن علي الجهضمي هو صحيح بشروط أهل الحديث؛ وقد رواه أحمد في المسند، وربما لو سمعه منه المتوكل لجلده ٢٠٠٠ سوطاً!

لفظ الحديث؛ أن النبي صلوات الله وسلامه عليه وآله؛ قال لفاطمة

(إني وإياك وهذين - الحسن والحسين - وهذا الراقد - علي - في مكان واحد يوم القيامة).

وهو حديث وسط؛ وهو صحيح السند عند أهل الحديث؛ وقد روي قبل المتوكل وبعده؛ رواه أهل السنة والشيعة؛ أحباب المتوكل وخصومه؛ بل حتى أحمد؛ فكان ماذا؟

رواه الطيالسي (مات قبل حكم المتوكل)؛ وأحمد أيام حكم المتوكل؛ وابن أبي عاصم والبخاري والطبراني بعده.. وصححه أحمد شاكر والالباني وغيرهم..

ليس هنا فائدة القصة؛ إنما المشكلة؛ أن المتوكل وظف الدولة في خدمة النصب بتلك العقوبات الشنيعة؛ وحاصر فضائل أهل البيت وخوف رواتها؛ وهذا له أثر؛ فهذا نصر بن علي الجهضمي - من شيوخ البخاري ومسلم وطبقتهما - ومن أئمة أهل الحديث؛ لا شيعي ولا معتزلي، كاد المتوكل الناصبي أن يبطش به..

وكان المتوكل آخر الخلفاء العباسيين الأقوياء، وقد بقيت آثاره السياسية في بعض أهل الحديث الذين كانوا يبالغون في الحساسية من محبة أهل البيت. وأثر نصب المتوكل وأثره على الحكم؛ على؛ كان قوياً على أهل الحديث، وقد استمر أثره إلى اليوم، ولم ينتبه لهذا أهل الحديث. وإذا أردنا للمجتمع خروجاً نحو الاعتدال والموضوعية، فلن يتم دون أهل الحديث؛ وهم لن يستطيعوا التجديد إلا بمناقشة هذه المؤثرات بموضوعية وكشف.

هناك فترات محورية في التاريخ السياسي - كمرحلة المتوكل مثلاً - إذ لها ظلالها على الحديث والرواة والعقائد والفقه والتصورات... ولا بد من بحثها..

لا أجد مرضاً عند أهل العلم، من الظلم في القول أو الهجر والتبذير والتضليل والتكفير واستباحة الدماء.. الخ؛ إلا وقد تم

كتابتها في عهد المتوكل؛ بل؛ حتى الآن؛ العامة يستغربون؛ لماذا بعض أهل الحديث كفروا أبا حنيفة؟ ولماذا بعضهم ضعف البخاري وهجره وبدّعه؟

ادرسوا عهد المتوكل وستعرفون السر. فكل هذا الغلو والتطرف والعجلة وسوء الظن وضيق الأفق وانتقاء أحاديث دون أخرى

وتكفير أهل الرأي والمذاهب، كله تم تأسيسه من عهد المتوكل؛ وهذا سر إصرار الغلاة؛ ومن قلدتهم؛ في الثناء الكبير على المتوكل العباسي؛ وأنه (ناصر السنة)؛ وقامع البدعة.. والخ؛ مع التكتّم على جرائمه البشعة؛ فالغلاة يريدون منا أن نسلم بأن المتوكل كان سنياً وليس ناصبياً! لسبب وحيد، وهو أنه أخرج الإمام أحمد من السحن! هل الدين لله أم لأحمد بن حنبل؟

عذراً، الحديث الذي رواه نصر بن علي لفظه مشابه؛ واللفظ هو (من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة)؛ وهو أيضاً حسن. وحتى من تشدد واستنكره؛ كالذهبي؛ استدرك بقوله : (وقد تو اتر قوله عليه الصلاة والسلام: المرء مع من أحب)؛ وأما نصر؛ فمن أئمة السنة الأثبات اهـ.

يقصد الذهبي، إنه حتى مع الكلام في أحد رواة الإسناد - كان صدوقاً؛ ولكن له أوهام - إلا أنه الحديث يقع تحت أصل صحيح متواتر. والمحبة لها لوازم؛ وأقول: حتى لو كان المحب مع من أحب في درجته في الجنة، إلا أن النعيم ليس مادياً فقط؛ فالنعيم في معرفة الله ورضوانه متفاوت بينهم؛ وهم في مكان.. فالنبي مثلاً؛ لو كان معه أهل بيته وأمّهات المؤمنين وكبار الصالحين، في أعلى الفردوس، فهل بالضرورة يتماثل إحساسهم بالنعيم؟ ليس بالضرورة..

والحديث رواه نصر بن علي مسلسلاً بأهل البيت؛ رواه عن علي بن جعفر عن الكاظم عن الصادق عن الباقر عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن النبي مرفوعاً؛ بل؛ هذا من أصح الأسانيد على وجه الأرض؛ ولعل الإسناد هو الذي دفع المتوكل للأمر بضرب نصر بن علي ٢٠٠٠ سوطاً؛ فالتوكل ناصبي؛ ويبغض هذه الأسماء.

كان أثر المتوكل واضحاً في هجر أحاديث أهل البيت؛ فعصر المتوكل نقطة تحول في الافتراق بين السنة والشيعة بسبب عصبية السياسة؛ لا بسبب المذهبيين؛ ودراسة عصر المتوكل سيوجب على الأسئلة الكبيرة؛ مثل: لماذا أهل الحديث تركوا أحاديث أهل البيت؟ لماذا افتقرت رواية السنة والشيعة؟ وغيرها..

وهذا السند المسلسل بأهل البيت؛ هم ثقات أثبات عند أهل الحديث؛ متقدمهم ومتأخريهم؛ ولكنهم قللوا من الرواية عنهم بسبب الضغوط السياسية الناصبية؛ وقد بدأت المرحلة الأولى الشفوية في عهد معاوية - راجع كتابنا : مراسيم معاوية - واستكمل المتوكل المرحلة الثانية التدوينية على نهج معاوية ..

ولو أن علماء السنة والشيعة؛ سلموا من السياسات الفاصلة بينهما؛ لكانوا إلى اليوم مذهباً واحداً؛ ولما شاعت الأحاديث الضعيفة والخرافات والتباعد؛ فالأثر السياسي؛ كما قلنا؛ كان كبيراً جداً على الثقافة وأهل الحديث والرواية؛ من جميع المذاهب؛ وإلا؛ فالأصل؛ أن المسلمين مذهبهم واحد؛ هو الإسلام. والحديث رواه عبد الله بن أحمد في المسند؛ والترمذي في سننه؛ وغيرهم.. ثم نقول: حتى لو افترضنا أن نصر بن علي أو غيره، وهم في حديث في فضل أهل البيت أو غيرهم، فهل عقوبته ٢٠٠٠ سوط؟

هذا قانون متوكلي لا إلهي.

ثم؛ هذه كتب الحديث والتفاسير والفقه والملاحم والسير... وما أكثر الأحاديث الضعيفة والمنكرة فيها؛ فالعقوبات البشعة جزء من نصب المتوكل فقط. والخلاصة:

أن التأثير السياسي - الأموي والعباسي - على الثقافة الدينية؛ كان قوياً جداً، ولا بد من دراسة لهذا الأثر وتبع أضراره ومعالجتها؛ وقد تعمدت اليوم، أن أتيكم بخليفة عباسي هاشمي ظالم مستبد؛ حتى لا يقال أننا نركز على بني أمية عصبية ضدهم..

كلاً.

بنو العباس ورثوا عنهم كل شيء! والأهم من هذا؛ أنهم نشروا أحاديث التفاصيل والجزئيات؛ وأهملوا أحاديث الغايات - غايات القرآن الكريم - حتى كأن الإسلام دينين؛ وليس ديناً واحداً؛ وأهل الحديث اليوم كثرة، ولكنهم غثاء كغثاء السيل؛ إلا ما ندر؛ إذ؛ يقلد آخرهم أولهم دون وعي، مع إهمال لعلوم النفس والاجتماع والسياسة والمنطق.. لذلك؛ تجد أهل الحديث هم أكثر المسلمين تصلباً وتوجساً من كل جديد؛ وسيطرة على العامة بالحديث والرواية، دون وعي بالموثرات؛ ويرون أنهم على شيء!

وأخيراً؛ وللتوازن؛ أوصي بكتاب ( السنة عند الشيعة الإمامية ) للباحث حيدر حب الله؛ وفيه نقد واسع للأحاديث الشيعية الإمامية.. اعط الخبز لخبازه.